١٦

# السيد سميث وزوجته

لا أقول إنني شخص بريء، لكن في تلك الحالة تحديداً، لم أكن أعرف شيئاً.

أرنون ميلتشان في عرضٍ أول لفيلمه في يونيو ١٩٩٣

وسط زوبعة من المشاعر المتضاربة، وصل الدكتور جون شيلر وإميلي إلى موطنهما الجديد المؤقت، أي مدينة زيوريخ، وكانا قد سافرا متخفيين واكتسبا هويتين جديدتين. وكانا يعرفان أنهما سيظلان مختبئين وهاربين من العدالة بقية حياتيهما، وخَطّطا للاستفادة القصوى من موقفهما غير المحسوم.

وكانا يعرفان أنه إن خرج الإسرائيليون سالمين من القضية، فسيكون لديهما من الموارد ما يكفل لهما نمط حياة متواضعاً لكنه مريح. وحاولا تبنى منظور إيجابى واعتبار الأمر برمته تقاعداً مبكراً.

وكانت أولى مهامهما هى العثور على مصرف يونيون بانك أوف سويتزرلاند فى وسط المدينة، حيث سيفتتحان حسابهما. وتبادلا حديثاً مطولاً مع محاسبهما التنفيذى الجديد، والذى تعرف على صوتيهما ودبر لهما استخدام المصرف عبر الهاتف. وأودعا فيه معظم مبلغ الـ١٥ ألف دولار الذى أحضراه معهما من حساب الطوارئ بشركة ميلكو، وفى الحال بدءا فى البحث عن شقة لاستئجارها.

وخلال فترة وجيزة وجدا شقة صغيرة فى الجزء الشمالى من المدينة مقابل ٤٠٠ دولار فى الشهر. واستأجرت، إميلى الشقة غير المفروشة، وذهبت لمتجر قريب

لشراء الحد الأدنى من الضروريات، من مرتبة هوائية، إلىّ لحاف محشو بالريش، إلى ملاءات، إلى مناشف، إلى وسائد. وكانا فى حاجة أيضاً لشراء بعض الأطباق والمقالى وأدوات المائدة. وما أن نقلا معداتهما المتواضعة الجديدة للشقة، أعادا السيارة المستأجرة واعتمدا على النقل العام الفعال فى زيوريخ فيما هما ينتظران التعليمات قلقين.

كلاهما كان زائد الوزن، وفى منتصف الخمسينيات، وكانا آنذاك بلا تأمين صحى. واتخذا قراراً حاسماً بتخفيف وزنيهما وبدءا فى الخروج فى رحلات سير طويلة كل يوم إلى جبل يوتلبيرغ القريب، واتبعا برنامجاً صارماً من التمارين الصباحية اليومية. وأصبحا أيضاً نباتيين ملتزمين. وسرعان ما بدءا ينحفان ويشعران بتحسن بالغ. وأملا أن يساعدهما مظهرهما المتغير فى تجنب التعرف عليهما بسهولة، بالإضافة لجعلهما فى حالة جسدية جيدة تزيد من فرص هروبهما

على الأقدام إن دعت الضرورة لذلك.

وسُرَّا عندما علما أن بزيوريخ شركة أوبرا كلاسيكية من الطراز الأول تقدم عروضاً بدار الأوبرا القديمة كل ليلة تقريباً، وبدءا يستغلان ذلك سريعاً كإلهاء مرغوب فيه عن خوفهما الماثل ورهاب الارتياب. وكانت رحلات السير الطويلة بمحاذاة بحيرة زيوريخ وعبر حرم جامعة زيوريخ مصدر إلهاء مفيد أيضاً. وكان التواصل مع السكان المحليين فى متناولهما أيضاً، وكان سميث قد تعلم الألمانية كجزء من المتطلبات اللغوية فى رسالة الدكتوراه الخاصة به، وكانا يتعلمان كلمات جديدة كل يوم.

وكل أسبوع كان ريتشارد أو إميلى يزوران فرع مصرف يونيون بانك للاستعلام عن التمويلات التى ينتظرانها كى يبدءا المزيد من ترتيبات الإقامة الدائمة. وإلى جانب مخاوفهما من القبض عليهما من قبل المباحث الفدرالية أو الاستخبارات الأمريكية، فقد كانا قلقين من فكرة أن يفشل الإسرائيليون فى تحويل الأموال، وفى تلك الحالة ستتدهور حالتهما المالية سريعاً.

لكن مع كل الخوف والرضوض، فقد أحب ريتشارد وإميلى مدينة زيوريخ سريعاً وشقتهما قليلة الفرش، والتى كانت تتناقض تماماً مع نمط حياتهما فى منزلهما الشاطئى الراقى ذى الخمس غرف نوم والذى كانا يتمتعان به لعدة سنوات فى هنتنغتون بيتش. والآن، وجدا أنهما قد حُرِما من نوادى اليخوت، وحفلات الكوكتيل. لكنهما أعادا اكتشاف البهجة فى أشياء بسيطة وأعادا اكتشاف بعضهما البعض.

وبحلول مطلع أكتوبر أرسلا أول رسالة مشفرة إلى العائلة ليخبراهم بأنهما على قيد الحياة وبحال جيدة. ووصلت أول رسالة مجهولة لصديق جين مانز والدة

إميلى، والتى كانت تعيش منعزلة فى لاغونا هيلز، كاليفورنيا. وكانت الرسالة قصيرة وبسيطة تقول "أخبروا أمى أننى فى أمان". وعقب ذلك بفترة وجيزة، أعلما أولادهما بمكانهما، وبانضباط رائع، كتمت العائلة السر عن السلطات الأمريكية. ومن آن للآخر كان عميل فدرالى يأتى ليستجوب أفراد العائلة بشأن أى اتصال قد يكون قد حدث معهم، لكنهم لم يفصحوا عن أى شىء، ولم يتم تبادل الخطابات المباشرة خوفاً من أن تكون السلطات تراقب البريد، وبمرور الوقت تم استخدام وسائل اتصال معقدة.

ذهب ابنهما الأصغر إلى زيوريخ حاملاً بعضاً من أغراضهما الشخصية. وأحضر معه أيضاً نسخة من مجلة لوس أنجلوس تايمز التى وصفت المشهد الفوضوى فى قاعة المحكمة فى اليوم الذى تغيب فيه سميث عن الجلسة: القاضى الغاضب، ومطالب المدعى العام المدوية بقرارات فورية، وتعليق محاميه الذى اعترف بجرم موكله، وحقيقة أن القاضى قضى بإخطار الإنتربول فى لندن فى الحال. وعزز هذا من حاجتهما لاتخاذ كل الاحتياطات وتجنب ممارسة أى من هواياتهما القديمة والتى قد تُرصد وتكشف عن مكانهما. فى أوروبا، كان استئجار السيارات، والإقامة فى الفنادق، والعديد من الأنشطة الأساسية الأخرى تتطلب تقديم بطاقة الهوية، وبالنسبة للأجانب، تتطلب تقديم جواز السفر. ولذلك كانت هويتاهما الجديدتان حاسمتين لمتطلبات الحياة الأساسية.

ثم كان هناك ارتيابهما المرضى اليومى وخوفهما من أن يتم القبض عليهما، وكانت تتخلل ليالى الأرق كوابيس مفزعة بالقبض عليهما وأفكار بخصوص الأقمار الاصطناعية الأمريكية التى تراقب العالم والتى تستطيع قراءة اللوحات المعدنية للسيارات! وكانا يتساءلان ما إن كانت ثمة توجيهات بالبحث عنهما. كان قلقاً سخيفاً إذا فكرنا فيه الآن، لكن الأفكار العقلانية صعبة المنال فى مثل تلك الظروف.

ويصف سميث في روايات لاحقة له كيف خرجت إميلي ذات يوم للتسوق وعادت مبكراً عن ميعادها، ودقت جرس باب الشقة. ولم تكن هناك عين سحرية في الباب وخاف سميث أن يفتح الباب أو حتى أن يجيب شفهياً، إذ راودته رؤى فظيعة بالقبض عليه وجره للسجن، ثم ترحيله إلى متعقبيه المتربصين به مجدداً بينما لا تعرف إميلي ما حل به. ونتج عن ذلك إصابته بنوبة هلع ولم يستطع أن يحمل نفسه على فتح الباب. وبعد بضع دقائق محمومة بدت أبدية، بدأت إميلي تسير حول المبنى على أمل أن يراها ريتشارد خارج النافذة ليدرك أنها هي الطارقة.

لكن ريتشارد الرجل الناضج واسع المعرفة، كان يجلس القرفصاء في حوض الاستحمام وراء ستائر الحمام، خائفاً لحد يمنعه من اختلاس النظر عبر النافذة. وفي النهاية، عادت إميلي إلى الباب الأمامي وفعلت ما كانت تأمل أن تتجنبه. فتخلت عن السرية وصاحت بأعلى صوتها بينما هي تدعو ألا يسمعها الجيران ويبلغوا بوجود شيء مريب، وسمع ريتشارد نداءاتها، وبارتياح عظيم قفز من وراء الستائر وأدخلها أخيراً. وكان قلبه يخفق بشدة.

وفي هوليوود، ووسط نزاع فيلم برازيل، بلغت ميلتشان أخبار هروب سميث بنجاح.

وبينما كان كل من ميلتشان وتيري غيليام يُحسَّنان من سمعتيهما في كاليفورنيا، كان عميل ميلتشان السابق هارباً من العدالة ويعيش في المنفى، بعيداً عن عائلته، وعن وطنه، وقد فقد سمعته التي كان يتمتع بها يوماً، وبعيداً عن الحياة الوحيدة التي كان قد عرفها. وكما قال أحد أفراد العائلة في شهادته إن ذلك كان بمثابة موت لفردين من العائلة.

وبحلول أول نوفمبر ١٩٨٥، كان التوتر قد أصاب الزوجين سميث، إذ لم يصل

الإيداع الأول، وبدأ الطقس يصبح بارداً وكئيباً، وكانت مواردهما المالية تتضاءل سريعاً. وأصبحت زياراتهما للمصرف لتفقد الإيداعات التي يتم تحويلها أكثر تكراراً ويأساً. بالإضافة للخوف وجنون الارتياب من أن يُكتشفا ويتم ترحيلهما، سيطرت عليهما فكرة أن الإسرائيليين قد خانوهما.

ثم ذات صباح في ٢٣ من نوفمبر عام ١٩٨٥، تفاقمت مخاوفهما للأسوأ. إذ اشترى سميث نسخة من جريدة إنترناشونال هيرالد تريبيون وقرأ أخبار القبض على محل استخباراتي بحري يدعى جوناثان جاي بولارد وزوجته آن، للاشتباه فيهما بالتجسس بعد محاولة الهرب من فريق مراقبة المباحث الفدرالية إف بي آي. ولم يستطيعا ألا يلاحظا أن موقفهما الشخصي كان مشابهاً بشدة، فهما زوجان هربا نجاة بحياتيهما وكان الزوج يواجه حكماً محتملاً بالحبس مدى الحياة. وعرفا أيضاً بعد ذلك، أنهما مثل الزوجين بولارد، كانا عميلين في منظمة سرية اسمها لاكام!

في صباح ٢١ من نوفمبر عام ١٩٨٥، حزم جوناثان وآن بولارد أمتعتهما، وأخذا ألبوم صور زفافهما، وقطتهما داستي، وشهادتي ميلادهما، ورخصة الزواج، وأوراق التطعيم. تماماً كما فعل الزوجان سميث منذ بضعة أشهر. كانا يخططان بشكل هستيري للرحيل عن الولايات المتحدة للأبد، إذ استقلا سيارتهما الموستانغ الخضراء، وكما فعل الزوجان سميث، بدءا يقودانها في دوائر، ويغيران الحارات، وينعطفان سريعاً ويغيران اتجاههما، في سعي يائس لتضليل أي متتبعين. ومثل الزوجين سميث، كانا خائفين ومرتابين. في النهاية، وفي الساعة الـ٢٠:١٠ صباحاً وصلا إلى بوابة السفارة الإسرائيلية رقم ٣٥١٤ في الطريق الدولي في واشنطن دي سي. ولم يلاحظا أن المباحث الفدرالية كانت تتبعهما بأكثر من سيارة غير مميزة.

ومن خلال الاتصالات اللاسلكية المحكمة، عندما كانت ثمة سيارة تتوقف، وكانت سيارة أخرى تحل محلها، ولم ير بولارد سيارة واحدة تتبعه. كان ريتشارد وإميلي سميث قد هربا بنجاح منذ بضعة أشهر في ظروف مثيلة ولم تكن المباحث الفدرالية لتسمح بحدوث ذلك مجدداً. وفي تلك المرة زرعوا جهاز إشارات إلكترونية في مصد سيارة بولارد الموستانغ، حيث كانت الإشارة الإلكترونية ستحدد موقع السيارة حتى إذا استطاع التخلص من متتبعيه.

ووفقاً لبولارد، فقد كان قد نسق مع أمن السفارة مسبقاً، وكان من المفترض أن تفتح له البوابة في تمام الساعة الـ٢٠:١٠، ووصل بولارد في موعده بالضبط. ودخل مجمع مباني السفارة بالسيارة مباشرة وأُغلقت البوابة من خلفه. "مرحباً بك في منزلك" تذكر بولارد أن أحد الحراس قال له هذا فشعر بارتياح بالغ. أخيراً، كان في أمان. لكن في ظرف دقيقة، كانت السفارة محاطة بالمباحث الفدرالية، ودستة من السيارات، وشاحنات أحدثت جلبة هائلة في الشارع بالخارج.

وأخذ عملاء المباحث الفدرالية يتوافدون من السيارات ويأخذون مواقعهم حول السفارة حاملين المناظير المتطورة ويتبادلون الإشارات اللاسلكية. وأدرك أفراد الأمن في السفارة ما يحدث وتجمعوا سريعاً. وإذ هم مرتبكون ولا يعرفون كيف يتصرفون، تحدثوا على الهاتف مع ضابط كبير داخل السفارة.

وعندما عادوا لبولارد، كان موقفهم قد تغير كلياً حيث قال العميل بإصرار:

- عليك أن تغادر السفارة.

* ماذا؟

- لقد سمعتني، عليك أن تغادر.

* هل تعرف من أكون؟

- عليك أن تخرج.

ولم يصدق بولارد أذنيه وبدأ يصيح بصوت عال إنه يهودى يقف على أرض إسرائيلية ويطالب بحقوقه فى المواطنة وفقاً لقانون العودة. ولم يُجد هذا نفعاً. إذ أعاده العملاء الإسرائيليون بالقوة إلى سيارته، وفتحوا البوابة، وطلبوا منه التراجع بالسيارة والخروج بينما وقف جيش من عملاء المباحث الفدرالية يراقبون ما يحدث فى ذهول من خارج البوابة.

اخرج بالسيارة الآن! هكذا أمروا بولارد بصوت عال. ولم يكن لديه بديل آخر، وبدأت زوجته تبكى بشكل هستيرى فى المقعد المجاور له.

وبتردد، خرج بولارد من البوابة، وفى الحال ألقى العملاء الفدراليون القبض عليه هو وزوجته المنتحبة ووضعوا الأصفاد حول أيديهما.

كان بولارد الأخير من ٨ عملاء سيئى السمعة تم كشفهم فى عام ١٩٨٥، والذى عرف إعلامياً باسم عام الجواسيس. والثمانية هم جون أنتونى ووكر وشارون دبليو سكارانج و لارى و تاى تشين و رونالد ويليام بيلتون و راندى مايلز جيفريز وجوناثان جاى بولارد وريتشارد كيلى سميث.

كانت ضربة صادمة، لكن التخلى عن بولارد للعملاء الفدراليين الذين كانوا يلاحقونه فى وضح النهار هو ما أقلق الزوجين سميث عندما قرأ عنه. وإن كان قد تم التخلى عن بولارد بمثل تلك الطريقة أمام العالم أجمع، إذن فما يمنع الإسرائيليين من التخلى عنهما أيضاً؟

ولحسن حظ الزوجين سميث أنهم أساءا تقدير الموقف، إذ لم يكن فى وسع

إسرائيل فى تلك اللحظة أن تتحمل فضيحة أخرى فى الولايات المتحدة. وهكذا كان لابد أن يظل ريتشارد وإميلى سميث مختبئين ومحميين جيداً لخدمة المصالح الإسرائيلية الوطنية. وإن كانت ثمة معضلات داخلية فى تل أبيب قبل فضيحة بولارد بشأن كيفية تولى قضيتهما، فقد حسمت تلك المعضلات سريعاً من خلال تلك الظروف الجديدة.

وخلال أيام من القبض على بولارد، تم تحويل إيداع ضخم لحساب عائلة "شيلر". غمرهما شعور بالفرح والارتياح: فلم يكونا وحدهما، حيث نجح الإسرائيليون أيضاً. ولم يتوقف الأمر عند المال فحسب، فقد تلقيا رسالة مفادها أنه يتم إعداد وضع أكثر استقراراً لهما.

وفى أعقاب القبض على جوناثان بولارد، والتحقيق معه عقب ذلك، أدركت الولايات المتحدة لأول مرة وجود منظمة اسمها لاكام. واتخذت إسرائيل موقفاً رسمياً مفاده أن المنظمة تدير عملية مارقة. وفى المفاوضات مع الولايات المتحدة، وافقت إسرائيل على حل منظمة لاكام كلياً كجزء من اتفاق أوسع يعيد تأكيد التفاهم القائم بين البلدين بالامتناع عن جمع الاستخبارات بشكل سرى من أحدهما الآخر. أُجبِر رافى إيتان خليفة بلومبيرغ، على الاستقالة، وحُظر عليه السفر إلى الولايات المتحدة حتى يومنا هذا. لكن لاكام مازالت مستمرة فى العمل خارج الولايات المتحدة ببنية واسم مختلفين.

وبرغم سخط الولايات المتحدة من تجسس إسرائيل عليها، فقد استمرت هى فى التجسس على إسرائيل. وعادة، عندما يتم اكتشاف وقائع التجسس الأمريكى على إسرائيل يتم التعاطى معها بهدوء بين الحليفتين. لكن كما تبين وثائق ويكيليكس فى عام ٢٠١٠ بوضوح، فالتجسس الأمريكى على إسرائيل مكثف،

ويبحث عن تفاصيل بالغة السرية عن أى شيء بخصوص القيادة الإسرائيلية، والإدارة، وأنظمة الاتصالات والتكنولوجيا التى تستخدمها الحكومة والأفراد العسكريون، بما فيها شبكات الهاتف المحمول، وهواتف الأقمار الاصطناعية، ومحطات الأقمار الاصطناعية المزدوجة، والإشارات المزدوجة والمتحركة، وأجهزة الاستدعاء، وبطاقات الاتصال المدفوعة مسبقاً، وأنظمة الحماية، والتشفير، والاتصال الدولى، واستخدامات تبادل البيانات الإلكترونية، وشبكات الكابلات والألياف.

وإذ هما غافلان عن الجانب السياسى للموقف، ومؤمّنان مالياً، ولديهما هويتان جديدتان، ولديهما حس جديد بالثقة، بدأ ريتشارد وإميلى الاستعداد لرحلة طويلة بالسيارة إلى وجهتهما الأخيرة، مكان تقاعدهما ومخبئهما الأخير، والذى سيقضيان فيه بقية حياتيهما. وكان موسم الشتاء يقترب ببرده القارس ولم يكونا ينتويان تحمل الشتاء السويسرى، إذ كانا قد اعتادا على مر العقود على طقس كاليفورنيا المعتدل وذكرا أنهما يفضلان موقعاً ذا طقس مشابه إن كان الاختباء فى المنفى هو خيارهما الوحيد.

وفى نهاية نوفمبر عام ١٩٨٥، وفيما تصاعد النزاع حول فيلم برازيل حزم الدكتور جون وإميلى شيلر ممتلكاتهما القليلة وانطلقا فى الصباح الباكر فى سيارة مستأجرة من زيوريخ إلى وجهتهما الجديدة. وبعد يوم كامل من قيادة السيارة بلغا برشلونة، إسبانيا، قبل أن يستأنفا رحلتهما فى اليوم التالى بمحاذاة الساحل إلى مالاقا فى مدينة كوستا ديل سول، مسقط رأس بابلو بيكاسو وأنتونيو بانديراس. وكانت سمعة مالاقا هى أنها تعد ملاذاً للهاربين، ومكاناً للتقاعد أيضاً. حيث كانت القوانين متراخية وكانوا يتغاضون غالباً عن وضع الهجرة لأى شخص لا يتسبب فى المتاعب تحت شمس المتوسط.

سلما سيارتهما "أفيس" المستأجرة وبعربون قيمته ألف دولار، فيما كانت تنتظرهما سيارة فيات سيت باندا صغيرة للاستئجار من تاجر سيارات مستقل، وبدون ترخيص سيارة يتطلب تسجيل اسميهما، وأصبحت تلك السيارة هى سيارتهما الدائمة فى المنفى.

ثم قادا السيارة إلى منزلهما الجديد الذى تم تدبيره لهما فى ٦ شارع ماركوس دى أبريفون، الشقة سى ٢، وسُرّا لما وجداه. إذ كانت الشقة تقع فى منطقة راقية مشجرة أقصى غرب ميناء مالاقا، على بعد نصف مربع سكنى فحسب من شاطئ متوسطى جميل ومتنزه مصفوف بالمطاعم والمتاجر ممتد بطول الشاطئ، ومثالى لرحلات سيرهما اليومية.

عندما سألتهما مالكة المنزل، التى كانت تنتظرهما، عن مدة إقامتهما المنتظرة فى الشقة، سُرت السيدة العجوز عندما سمعت كلمة للأبد. ثم فتحا حساباً مصرفياً فى الفرع القريب لمصرف بانكو بيلباو باسم "شيلر" وتمكنا من خلاله تحويل الأموال من وإلى حسابهما المصرفى فى مصرف يونيون بانك فى سويسرا.

وسرعان ما تأقلم الزوجان شيلر -سميث سابقاً- مع محيطهما الجديد المريح، وبتحول الأيام لأسابيع، أصبحت الأسابيع شهوراً، وبدأ الخوف الرهيب الذى كان متملكاً منهما يتبدد تدريجياً. وبدأ الشعور بالأمن والاستقرار يعود إليهما. وأدركا أنهما لا يتعقبهما أحد وأن أقمار التجسس فى الفضاء لا يعاد توجيهها من مسارها المعتاد فوق الاتحاد السوفييتى. كانا هاربيْن مُهمين، لكن ليسا بهذا القدر من الأهمية. فى الواقع، كان من الملائم للولايات المتحدة أن تغض الطرف عنهما، طالما التزما السرية، وتجنّبا تخصيص موارد حقيقية لتعقبهما.

ووصف سميث لاحقاً كيف تطورت حياتهما فى مالاقا إلى عالم أحلام

متوسطى مبهج، إذ فرشا الشقة بكل شيء كانا يحتاجانه، ومنها مائدة لـ١٢ فرداً، وسجاجيد رائعة، ولوحات زيتية كبيرة فى كل مكان. كانت هناك أشجار كاملة النمو فى المنطقة توفر كثيراً من الظل ونسيماً متوسطياً رقيقاً يلطف الجو من حولهما. ولمزيد من الصحبة اشتريا قطتين سياميتين وأسمياهما مالاقا وموبيتاه.

وفى النهاية، بدءا يكونان صداقات جديدة، واكتشفا أن مالاقا بها مجتمع كبير يتحدث الإنجليزية ونادٍ يتقابل أعضاؤه كل ليلة اثنين فى مطعم شاطئى على بعد حوالى ميل من شقتهما. وبعد حضورهما اجتماعه الأول واستمتاعهما بالأشخاص الذين تعرفا عليهم، انضما إلى النادى وبمرور الوقت أصبحا عضوين نشطين فيه.

أصبحت إميلى سكرتيرة النادى ومسئولة عن إصدار النشرة الإخبارية الشهرية وأصبح جون شيلر نائب مدير النادى. وكان كل من جون وإميلى مُلمين نسبياً بالإسبانية لكن خلال أشهر أصبحا يتحدثانها بطلاقة. وفى النهاية أصبحا نشطين اجتماعياً وذائعى الصيت فى مجتمع المنفى الكبير فى المدينة.

اكتشفا المشهد الموسيقى فى مالاقا، وكانت الجامعة الموسيقية تقدم حفلات موسيقية فردية كل عام للطلاب الخريجين، وكانت أوركسترا الجامعة تقدم حفلات موسيقية مجانية كل شهر. وكان لمدينة مالاقا أوركسترا مكوّن من ١٠٠ عضو، يتألف من موسيقيين موهوبين حقاً من كل أنحاء أوروبا سعداء للغاية بالعيش فى ظلال شمس المتوسطى مقابل أجر زهيد وكانت تذاكر الحفلات رخيصة للغاية، أقل من ١٠٠ دولار للتذاكر التى تستمر طوال الموسم.

وبمرور الوقت، كادا ينسيان أنهما هاربان مشهوران، ومطلوبان فى قضية شائنة ومعروفة دولياً. واشتركا حتى فى التعداد السكانى لمدينة مالاقا وكانا يصوتان فى انتخابات البلدية.

ووفقاً للزوجين سميث، فقد كانت دِبورا بن إسحاق مساعدة ميلتشان على اتصال دائم بهما عبر الهاتف وآلة الفاكس التى اشتروها لمكتبهما المنزلى. وفى النهاية، وبحلول عهد الإنترنت، اشترى الزوجان سميث حاسوباً وبدءا يتواصلان عبر البريد الإلكترونى من عنوان jonsch@vnet.co.es.

وظلت علاقتهما بدِبورا قوية ودافئة وكانوا يطلعون بعضهم على المستجدات الخاصة بأنشطتهم.

وتابع الزوجان سميث أخبار ثروة ميلتشان وشهرته المتزايدة من منفاهما المتواضع نسبياً، وبدءا يتساءلان أيضاً لِم لا يشاركهما ميلتشان بجزء ولو ضئيلاً من ثروته. فبعد كل شىء، ما الذى يعنيه مليون دولار أو مليونان بالنسبة لشخص سرعان ما أصبحت ثروته تقدر بالمليارات؟!

وكان التمويل الذى يتلقاه الزوجان سميث من إسرائيل كافياً لكل احتياجاتهما الأساسية، لكن ليس أكثر من ذلك. وكان ذلك هو السبيل للتأكد من التزام الهاربين بالسرية وتجنبهما إثارة أى نوع من الشكوك التى قد تصاحب الحياة المرفهة. لكن الزوجين سميث كانا معتادين على مستوى حياتى أعلى من ذلك، وسعيا بنشاط لتحقيقه. وسيكون هذا سبب سقوطهما.